﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦﴾

[طه:116]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربْطُ نسيانِ آدمَ وفـقـدانِ عزمه بسجود الملائكة وتكبُّرِ إبليس

ذكرَ النَّظمُ الكريم في الآية السّابقة نسيانَ آدمَ ﷺ لما عهدَ اللّهُ تعالى به إليه من عدمِ الأكلِ مِنَ الشَّجرة، ولمّا كان الأمرُ مُستغربًا أن يقع فيه آدم ﷺ، وكان العقل يتوقُ لمعرفة سبب هذا التَّرك؛ جاءت هذه الآيةُ وما يليها من آياتٍ مبيِّنةٍ لتسلسل الأحداث مِن أمرِ الله تعالى للملائكة بالسُّجود له، وما ترتَّب عليه من عصيان إبليسَ لأمر اللّه تعالى، وغوايتِه لآدم ﷺ حتّى يعصيَ اللّه تعالى، ويأكلَ من الشَّجرة الَّتي نهـاه اللّه عن الأكل منها، فقال: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾، فهو شروعٌ في بيان المعهود، وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمِه[1]، وتوالى ذكر بقيَّة القِصَّة، فناسب ذكرُ قصَّة آدمَ بتمامها ليكون موعظةً للمتَّقين وهدًى للمؤمنين، فقال تعالى لرسوله محمَّد ﷺ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَبَىٰ﴾: (أبي) أصل يدلُّ على الامتناعِ[3]، يُقال: أبَى فلانٌ يأبَى إباءً، أي: ترك الطَّاعةَ، ومالَ إلى المعْصيةِ[4]، والإباءُ: أشدُّ الامتناعِ[5]، والإباء بالكسر: مصدرُ قولك: أبى فلانٌ يَأْبى بالفتح فيهما، مع خلوٍّ من حروف الحلق، وهو شاذٌّ، أي: امتنع،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 579.
(2) الجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 384.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أبي).
(4) الخليل، العين: (بوء).
(5) ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر: (أبو).

فهو آبٍ وأبيٌّ وأبَيانٌ بالتَّحريك[1]، ويأبى إباءً؛ إذا كره، قال أبو خراش الهذلي:

أبَى الصَّبْرَ أنّي لا يَزالُ يَهيجُني*** مَبيتٌ لَنا فيما مَضَى ومَقيلُ[2]

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكرُ أمرِ الملائكة بالسُّجود لآدمَ وتـأبّـي إبليسَ كِبرًا وغرورًا

اذكر ما جرى من معاداةِ إبليسَ ووسوسته لآدمَ وتزيينِه له الأكلَ من الشَّجرة، وطاعتِه له بعد ما تقدَّمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده، حتى يتبيَّن لك أنَّه لم يكن من أولي العزم والثبات، وسببُ عداوته ما أمر اللّهُ به الملائكةَ حين قال للمَلائِكة: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾؛ طاعةً لي، وتكريمًا له، فسَجَدوا كلُّهم إلّا إبليسَ الذي كان معهم، ولم يكن منهم، فامتنَعَ أن يكونَ مع السّاجِدينَ تَكَبُّرًا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ وصل الجُملة بما قبلها:

تفصيلُ إجمالِ القصَّة الظّاهرِ تأكيدٌ على حفظ الأوامر واجتناب الزَّواجر

لمّا كان المقصود من السُّورة الإعلامَ بالحلم والأناة والتَّلطُّف بالنّائي والقُدرة على المُعرِض؛ ذَكَرَ فعل آدم ﷺ في هذه السُّورة بلفظ المعصية، مع التَّصريح بأنَّها على وجه النِّسيان، وذكر ذلك أوَّلًا مُجملًا، ثُمَّ أتبعه تفصيلًا، ليكون ذلك مذكورًا مرَّتين؛ تأكيدًا للمعنى المُشار إليه تقريرًا وتحذيرًا من الوقوع في منهيٍّ، وإرشادًا لمن غلب عليه طبع النَّقص؛ للمُبادرة إلى النَّدم وتعاطي أسباب التَّوبة، ليتوب الله عليه كما فعل بآدمَ ﷺ فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾[4]، وعطْفُ هذه القصَّة على ما قبلها من عطف السَّبب على المُسبَّب؛ لأنَّ هذه القِصَّةَ سببٌ في عداوة إبليس لآدم[5].

(1) الجوهريّ، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (أبا).
(2) البيت من شعر الهذليين، ينظر: ديوان الهذليين: 2/ 117، والحميري، شمس العلوم: 1/ 159.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 320، والشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 106، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُختَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 320.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 355.
(5) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين: 2/ 443.

فهذه الجُملة بيانٌ لجُملة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾، وكان مُقتضى الظّاهر ألّا يكون معطوفًا بالواو، بل أن يكونَ مفصولًا، فوقوعُ هذه الجملةِ معطوفةً اهتمامٌ بها، لتكونَ قصَّةً مُستقلة، فتلفتَ إليها أذهان السّامعين، فتكونَ الواو عاطفةً قصَّةَ آدم على قصَّةِ موسى، عطفًا على قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا﴾ [طه: 9 - 10]، ويكون التَّقدير: واذكر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[1].

بلاغةُ الإيجازِ بالحذف وأثره في الخطاب:

توجيهُ الخطابِ للاعتصام بالله من إبليس وكيده

الظَّرفُ متعلِّقٌ بـ(اذكرْ) مقدَّرًا، أي: واذكر وقتَ ما جرى على آدمَ من معاداةِ إبليسَ ووسوسته له وتزيينه له الأكلَ من الشَّجرة ومبادرةِ آدم بالطاعة له بعد ما سلف من النَّصيحة البالغة والتحذير من الشيطان ومكره وأحابيله[2]، فـ(إذْ) مفعولٌ لفعل محذوف، تقديرُهُ: اذكرْ، والخطاب للنَّبيِّ ﷺ، ليُعلن لأمَّته، فتستعصم بالحذر من إبليس، كيلا تقع في إغوائه الَّذي توعَّدها؛ إذ قال في إصرار: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: 82 - 83][3]، و(إذْ) هُنا: اسمٌ ظرفيٌّ لما مضى من الزَّمان في محلِّ نصب مفعول به لفعلٍ محذوف، ومن لم يرَ ذلك؛ جعلَ المفعول محذوفًا، و(إذْ) ظرفٌ عامِله ذلك المحذوف، والتَّقدير: (واذكر إذ قُلنا)[4].

سِرُّ تعليق الذِّكر بالوقت ومتعلّق ﴿وَإِذْ﴾ في الآية:

المُبالَغةُ في ذِكْرِ الحادثة وتفاصيلها زيادةٌ في الاعتبار وتحقيقٌ للادِّكار

تَعليقُ الذِّكر بالوقتِ في قولِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، مع أنَّ المقصودَ تَذكيرُ ما وقَعَ فيه من الحوادث؛ للمُبالَغةِ في إيجابِ ذِكْرِها، فإنَّ الوقتَ مُشتمِلٌ على تَفاصيلِ الأُمورِ الواقعةِ فيه؛ فالأمرُ بذِكْرِه أمرٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 320.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 355، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 255.
(3) محمَّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4798.
(4) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 185، والدّبل، دليل البلاغة القرآنيّة: 1/ 53.

بذِكرِ تَفاصيلِ ما وقَعَ فيه بالطَّريقِ البُرهانيِّ[1]، أي: اذكر ما وقع في ذلك الوقت منّا ومنه، حتّى يتبيَّن لك نسيانه وفقدان عزمه، فقد أمرنا الملائكة بالسُّجود، فسَجَدُوا[2]، ولأنَّ الوقتَ مُشتمِلٌ على أعيانِ الحوادثِ، فإذا ذُكِرَ؛ صارت الحوادثُ كأنَّها مَوجودةٌ في ذِهنِ المُخاطَبِ بموجوداتِها العينيَّةِ[3].

إيثارُ التَّعبيرِ عن الأمر بالقول ومجيئه ماضيًا:

الأمـرُ الإلـهـيُّ المُـبـاشـر من الله للملائكة ورُسـوخـه ومـوقـعـه من السّامعين

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، أي: حين أمرنا الملائكةَ بالسُّجود لآدم - سجودَ تشريفٍ وتكريم وتفضيل على كثير من خلق الله - فسجدوا[4]، وإيثار القول هُنا؛ للدَّلالة على الأمر الإلهيِّ المُباشر منه سُبحانه من غير واسطة، ومجيءُ الفعل ماضيًا يدلُّ على رسوخه وبيان موقعه من السّامعين.

سِرُّ التَّعبير بنُون العظمة وضمير الكبرياء:

الـدَّلالـةُ على تعظيم قول الله وأمره

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا﴾، أي: بما لنا مِنَ العظمة[5]؛ لأنَّ المقام يناسبُ العظمَةَ؛ إذِ السُّجودُ لِلتَّعظيم، فلمّا أمر به لغيرِه؛ أشار إلى كِبريائِه وعظَمَتِه في ذاتِه ﷻ، وعظمةُ الله تقتضي أن يُفردَ بالعبادة، وأن يكون السُّجودُ له وحدَهُ، باعتباره المستحقَّ له دون سواه، فناسب ورودُ أسلوب التَّعظيمِ عظمةَ العظيمِ، والقول منه عظيمٌ، والخطابُ منه حكمةٌ ورحمة وتكريم.

نُكْتَةُ الإظهارِ في موضِعِ الإضمار:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إظهارٌ في موضع الإضمار؛ إذْ مقتضى الظّاهر: (وإذ قُلنا لهم)، ونُكتَةُ الإظهارِ زيادةُ المهابَةِ؛

(1) الشِّهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 451.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 311.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 45.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 281.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 355.

فإنَّ هذا الجنسَ العظيمَ مِن مخلوقات الله تعالى مُنقادٌ لهُ سبحانه، ففيه عَظَمَةُ مَنِ انقادُوا لأمرِهِ، فهم المجبولون على مضي العزم والتَّصميم على القصد من غير مانع تردُّد ولا عائقِ فُتور[1].

دلالةُ الأمرِ بالسُّجود لآدم عليه السلام:

تشريفُ الله سُبحانه آدمَ عليه السلام تكريمٌ له على الخلق

الأمرُ في الآية في قوله تعالى: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ الصّادرُ مِنَ الله ﷻ للملائكة، فعند ما خَلقَ اللّهُ آدمَ عليه السلام بيده، وعلَّمه الأسماء، وفضَّله، وكرَّمه؛ أمرَ الملائكةَ بالسُّجود له إكرامًا وتعظيمًا وإجلالًا، فبادروا بالسُّجود مُمتثلين، وكان بينهم إبليسُ الَّذي امتنع عن السُّجود، فاستكبرَ عن أمرِ ربِّه[2]، وهذا دليلٌ على أنَّ السُّجود الَّذي أُمِروا به سجودَ كرامةٍ لآدم، وعبادة لله ﷻ[3]، فالغرض من الأمر في الآية تكريمُ الله سبحانه آدمَ عليه السلام، وتشريفُه بطلب السُّجود له من بين خلقه.

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾:

بيانُ سرعةِ امتثال الملائكة الكرام والمُبادرة إلى الطّاعة والاحترام

الفاء في قوله: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ عاطِفَةٌ على ﴿قُلۡنَا﴾، والفاء تدلُّ على التَّرتيب والتَّعقيب؛ ففي قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ إشارةٌ إلى مُسارعةِ الملائكة إلى امتثال أمرِ الله تعالى لَهُم بالسُّجود، وفيه مبادَرَتُهُم لأداء حقِّ آدمَ عليه السلام؛ إذْ علَّمهم ما لَم يَعْلَمُوا[4]، وقد فقهوا الأمر الإلهيَّ، ووعوا معنى أن يكون الأمرُ صادرًا من عظمة الله تعالى، "فسجدوا طائعين، مع معارضتهم ابتداءً لخلافته في الأرض، فلمّا رأوا أنَّ ربَّهم فضَّله عليهم، بأن علَّمه الأسماء كلَّها، ولم يعرفوها هم؛ سجدوا"[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 355.
(2) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 515.
(3) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 4/ 66.
(4) الشِّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 2/ 129.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4798.

دلالةُ الاستثناءِ في الآيَةِ الكريمة:

بيانُ أنَّ الاستثناءَ مُنقطعٌ وأنَّ إبليس لَيسَ من الملائِكَةِ عَلى الصَّحيحِ

الاستثناءُ في قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ مُنقطعٌ على الصَّحيح؛ لأنَّ إبليسَ ليس مِنَ الملائكةِ، بدليل قول الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف:50]؛ ولأنَّه مخلوقٌ من نارٍ، وأنَّ الملائكةَ مخلوقون من نُورٍ، وأمّا دخولُهُ في الأمر؛ فلأحد وجهين[1]:

الأوَّل: لأنَّه كان في صُحبتهم، وكانَ يعبد كعبادتهم، فكان الأمرُ شاملًا له[2]، **والآخر**: أنَّه أُمِرَ أمرًا خاصًّا، واستثناؤه منهم جارٍ على حُكم التَّغليب في إطلاق اسم الملائكةِ عليهم وعليه[3]، وعلى كلٍّ؛ فهو مأمورٌ بالسُّجود قطعًا بدليل قولِ الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الأعراف:12].

سِرُّ التَّعريفِ في لفظة ﴿إِبۡلِيسَ﴾ بالعلميَّة:

الإشعارُ بإهانة الشَّيطان، والتَّحذير من طاعته واتِّباعه

اسمُ إبليسَ - لعنه الله - عَلَمٌ على الشَّيطان الَّذي هو أصلُ الشَّياطين وكبيرهم، وقد عُبِّر عنه في القرآن بالشَّيطان تارة، وبالغَرور تارةً أخرى، أمّا هُنا؛ فقد عُبِّر عنه باسمه العلم لما لهذا الاسم من مُناسبة للمقام، والتَّعريفُ بالعلميَّة عمومًا له أغراضٌ منها في هذا المقام: إرادةُ الإشعار بإهانة المُتحدَّث عنه، ويكون هذا في الأعلام الَّتي تُشْعِرُ بذمٍّ، أو اشتهرت بصفاتها الذَّميمة، فأصلُ كلمة إبليس من الإبلاس، بمعنى الحزن المعترض من شدَّة البأس، يقال: أبلسَ، ومنه اشتقَّ إبليسُ فيما قيل، قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢﴾ [الرُّوم:12][4]، وأبْلَسَ من رحمة الله، أي: يَئِسَ ونَدِمَ، ومنه سُمّي إبليس[5]، وإبليس - لعنه الله - مُشتقٌّ

(1) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/ 127.
(2) السِّيواسيّ، عيون التَّفاسير: 3/ 100.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 91.
(4) الرّاغب، المفردات: (بلس).
(5) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (بلس).

منــه؛ لأنَّه يئس من رحمة الله، واختير هُنا التَّعبيرُ عنه باسمه العَلَم، لما في اشتقاق هذا الاسم من مُناسبة هنا: فإذا كـان إبليسُ من اليأس من رحمة الله تعالى؛ فهذا تحذيرٌ لمن اتَّبعه، بأنَّه سيهوي في نفس مصيره من اليأس من رحمة الله، وإن كان مُشتقًّا من الحزن وانقطاع الحُجَّة، فهو تنبيهٌ على من يخالف أمرَ الله تعالى، ويتَّبع إبليس، بأنَّه لا حُجَّة له عند الله تعالى بعد أن حذَّره من اتِّباع الشَّيطان الَّذي انقطعت به الحُجَّة عند الله[1].

دلالةُ الاستئنافِ في جملة ﴿أَبَىٰ﴾:

بـيـــانُ فـعـلِ إبليسَ اللَّعين تـجـاه أمـرِ ربِّ العالمين

جُملةُ: ﴿أَبَىٰ﴾ مُستأنَفةٌ، وقعَتْ جَوابًا عن سُؤالٍ نشَأ عن الإخبارِ بعدَمِ سُجودِهِ، كأنَّه قيلَ: ما بالُه لم يَسجُدْ؟ فقيلَ: أبى[2]، وسبب التَّأبّي عن الأمر الَّذي وُصِفَ به إبليسُ دونَ الملائكةِ - رغم أنَّه ليس ملكًا في الخِلقة والمهمَّة والخصائص - أنَّ "إبليسَ قبل هذا الأمر كان طائعًا، وقد شهد عمليَّة خَلْق آدمَ، وكان يُدْعى: طاووس الملائكة؛ لأنَّه ألزم نفسه في الأمور الاختياريَّة، ففاق بذلك الملائكةَ، وصار يزهو عليهم، ويجلس في مجلسهم، فلما جاء الأمرُ للملائكة بالسُّجود لآدمَ شملَهُ الأمرُ، ولزمَهُ"[3]، ولكنَّه أبى، واستكبر، وتطاول، وتكبَّر.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذف في قوله: ﴿أَبَىٰ﴾:

الاخـتـصـارُ والاستغناء عنه بما ذُكِرَ مِنَ الأمر

مَفعولُ ﴿أَبَىٰ﴾ إمّا مَحذوفٌ، أي: أبى السُّجودَ، كما في قولِه تعالى: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [الحجر:31]، أو غيرُ مَنْويٍّ رأسًا بتَنزيلِه مَنزِلَةَ اللّازمِ، أي: فعَلَ الإباءَ وأظْهَره[4]، وبلاغةُ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 356.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 91.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/ 9498.
(4) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 91، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 40، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 45.

الحذف هُنا: من باب الاستغناءِ بما فُهم من أوَّل الآية في استثناء إبليس من الامتثال للأمر[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالإباء دون غيره من مُرادفاته:

﴿أَبَىٰ﴾، أي: رفض، وكره، ولم يرضَ، واستعصى، وكلّ معاني ﴿أَبَىٰ﴾ منطبقةٌ على إبليس، ودلَّت مُحاكمة الله له على إصراره وعناده وشدَّة رفضه وكفره بإلهيَّة الله مع إيمانه بربوبيَّته.

توجيهُ ذِكْرِ الإباء دونَ الاستكبار في هذه الآية:

دلالةُ الاستكبارِ على الإباء وتلازمهما في حقِّ إبليس

ذَكَرَ ﷻ في هذه الآية الكريمة: أنَّه أمرَ الملائكة بالسُّجود لآدم، فسجدوا إلّا إبليس أبى، أي: أبى أن يسجد، فذكر عنه هنا الإباءَ، ولم يُذْكَرْ عنه هنا الاستكبارُ، وذُكِر عنه الإباءُ أيضًا في سورة الحجر في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: 31]، وذُكر عنه في سورة (ص) الاستكبارُ وحده في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: 74]، وذُكر عنه الإباءُ والاستكبارُ معًا في سورة البقرة، في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34][2]، والإباءُ وإن كان معناه الامتناعَ عن الشَّيءِ، لكنَّ المُراد هُنا الإباءُ بالاستكبار بدلالة المواضع الأُخر؛ إذ القرآنُ يُفسِّر بعضُه بعضًا؛ لأنَّه جاء ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34]، فإذا اكتفى بالإباء؛ فالمُرادُ الإباء بسبب التَّكبُّر، ولا ينافيه عطفُ استكبر على أبى؛ لأنَّه من قبيل عطف العِلَّة، فالإباءُ لأجل الاستكبار، هو الاستكبار مُبالغة[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشَّيْطان وإبْليس والجِنُّ:

الشَّيطانُ اسم جامع لأتباع إبليس سواء كانوا من الجنِّ أم من الإنس

يَرِدُ لفظُ (إبْليس) في القُرْآنِ الكَريمِ مُرادًا به اسمُ عَلم على

(1) والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 40، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 45.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان: 4/ 395.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 439.

الَّذي امتَنَعَ مِنَ السُّجودِ لآدَمَ ﷺ، كما في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:34]، وهُوَ مشتَقٌّ مِنَ الإبلاسِ، وهو شدَّةُ اليأسِ؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَهُ آيسَهُ مِن كُلِّ خيرٍ، أمّا الشَّيطانُ؛ فيقَعُ وصفًا لكلِّ عاتٍ متمرِّدٍ مِنَ الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ، فلفظُ الشَّيطانِ أعَمُّ مطلقًا مِن إبليسَ(1).

ولفظةُ الجنِّ بالنَّظرِ إلى أصلِ معناها تدلُّ على الاستتارِ والخفاءِ عن الأبصارِ، ولهذا سُمّيت الجنَّ بذلك؛ لاستجنانهم واستتارهم عن العيونِ، وهم أجسامٌ هوائيَّة قادرة على التَّشكُّلِ بأشكالٍ مختلفة لها عقولٌ وأفهام(2)، والمشهورُ أنَّ جميعَ الجنِّ من ذريَّة إبليس(3)، ومن تبعه منهم يُقال له: شيطان، فالجنُّ هم ولد إبليس، كما أنَّ الإنسَ ولدُ آدم، ومن هؤلاءِ وهؤلاءِ مُؤمنون وكافرون، فمن كان مُؤمنًا؛ فهو وليُّ اللهِ، ومن كان كافرًا فهو شيطان(4)، ومن هُنا يتبيَّن الفرقُ بين الجنِّ والشَّيطان، فالشَّيطان اسمٌ لأتباعِ إبليس سواء كانوا من الجنِّ أو الإنس، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112]؛ بل إنَّ العربَ تُسمّي كُلَّ مُتمرِّدٍ شيطانًا، ولو كان من غيرِ الجنِّ والإنس، قال الجوهري: "كلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ من الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ شيطانٌ، والعربُ تُسمي الحيَّة شيطانًا"(5).

الإباءُ والامتِناعُ:

بَيْنَ الإباءِ والامتناعِ: عمومٌ وخصوص مُطلَق، فكلُّ إباءٍ امتناعٌ،

الإباء أعمُّ من الامتناع وأبلغ منه، وقد أوثر استعماله في الآية

(1) الدّوري، دقائق الفروق اللّغويّة: 155 - 156.
(2) الشّبلي، آكام المرجان، ص: 23، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 03/ 280.
(3) الدّميريّ، حياة الحيوان الكبرى: 1/ 300.
(4) القرطبيّ، تفسير القرطبيّ: 19/ 05.
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (شطن).

وليس كلُّ امتناعٍ إباءً، وذلك أنَّ الإباء: شدَّةُ الامتناعِ[1]، ولِلشِّهابِ الخفاجيِّ توجيهُ عموم الامتناعِ بوجهٍ آخرَ، وهو أنَّ الإباءَ امتناعٌ مِنَ الفعلِ مع التَّمكُّن مِنْ أدائهِ، فالإباء أبلغُ مِنَ الامتناعِ[2]، ولِلْبِقاعيِّ توجيهٌ آخر، وهو أنَّ الإباءَ امتناعٌ عمّا حقُّه الإجابةُ فيهِ[3]، وهو كسابقِهِ، ومُؤدّاهُ أنَّه أعمُّ مِنَ الامتناعِ مطلقًا.

والأشهَرُ هُوَ الأوَّلُ، ويُمكِنُ ردُّ القولين الآخرَيْنِ إلَيْهِ، فإنَّ الامتناعَ مِنْ فِعلٍ ما، مع التَّمكُّنِ مِن أدائه مُشْعِرٌ بِضَرْبٍ مِنَ الإعْراضِ، وهذا مُقْتضٍ لشدَّةٍ في ذلك الامتناعِ، ومِثْلُهُ: الامتِناعُ عمّا حقُّهُ أنْ يُجابَ.

(1) الرّاغب الأصبهانيّ، المفردات: (أبى).
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 2/ 131.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 1/ 256.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»